بوكانان : نحن نتحالف مع جثة والغرب يواجه أربعة مخاطر

13-11-2002

يقول بات بوكانان في الفصل الأخير من كتابه الخطير (موت الغرب) أن الغرب ـ وعلى رأسه الولايات المتحدة ـ يواجه أربعة مخاطر: أولها تدني معدلات المواليد وانكماش الوعاء السكاني وثانيها موجات الهجرة العربية والاسلامية إلى الغرب حاملة معها ثقافات وديانات ولغات من شأنها القضاء على شخصية الغرب وحقيقته الثقافية والحضارية. وثالثها نمو تيار سياسي وثقافي مضاد ومعاد للغرب داخل المجتمعات الغربية يتبدى في تكاثر المساجد والجمعيات الاسلامية والعربية والمؤسسات الداعمة لها. ورابعها تفكك الأمم الغربية وتشرذمها وتصاعد الحركات الانفصالية داخل الغرب (ايرلنده والباسك وكورسيكا كأمثلة) وزحف هذا الامر إلى داخل الولايات المتحدة واحتمال تفكك الاتحاد الفدرالي الأمريكي نفسه.

*

يعتقد بات بوكانان -المرشح للرئاسة في الولايات المتحدة- بأن تحالف الولايات المتحدة مع أوروبا -عبر منظمة الحلف الأطلسي- هو في واقعه تحالف مع طرف ميت dead man walking وقد أصبح جثة (ص 108). يؤكد بوكانان أن الدول الاوروبية بالكاد قادرة على ضمان ولاء مواطنيها للانضمام إلى قوة الشرطة police للحفاظ على الأمن الداخلي دع عنك الانضمام إلى جيوش تقود حروبا في الخارج الشرق الاقصى أو الأوسط كأمثلة.

كأن بوكانان يقول بأن اتفاقية الحلف الاطلسي بين الولايات المتحدة وأوروبا لم تعد تتمتع بأي مبرر موضوعي او تاريخي. في موضوع البوسنة اضطر الانجليز والفرنسيون إلى الاستعانة بالأمريكان لمواجهة الصرب، فاذا كانت فرنسا وبريطانيا غير قادرتين على مواجهة قومية متآكلة كالصرب فكيف تقدر على مؤازرة الولايات المتحدة- في شكل فعال - يقول بوكانان في الخليج أو الشرق الاوسط عموما؟ لم تعد أوروبا قادرة على التضحية لأى شيء ويعتقد بوكانان أن هذا المرض الأوروبي European disease قد بدأ يزحف إلى عمق الولايات المتحدة، إذ قررت الاخيرة الانسحاب تماما من الصومال بعد عملية ناجحة لتنظيم القاعدة اقتنص ثمانية عشرجنديا وضابطا أمريكيا فقط. يقول بوكانان أن الرئيس كلينتون -عندما أمر بقصف بلغراد- اشترط على سلاح الجو الامريكي أن يفعل ذلك من على ارتفاع خمسة عشر الف قدم مخافة أن تخسر الولايات المتحدة طيارا واحدا وأثر ذلك على معنويات بقية الطيارين. الأوروبيون -يقول بوكانان- كانوا منذ اليوم الأول يتحايلون على الحظر الاقتصادي الامريكي على ايران والعراق وليبيا وحريصين -منذ البداية- على التجارة أكثر من السياسة والاستراتيجية. في سنة 2100 سوف تنكمش أوروبا -حسب بوكانان- إلى ثلث عدد سكانها اليوم نظرا لانهيار معدلات المواليد وامتناع الأوروبيين عن انجاب الاطفال وحرصهم على مبدأ اللذة في حياتهم اليومية وفقدانهم -حسب بوكانان- لأي غاية أرفع من اللذة الحسية وهو مرض اوروبي بدأ يجد له مضارب في الولايات المتحدة. اذا كان هذا هو حال الاوروبيين - يستنتج بوكانان- فلماذا تضيع الولايات المتحدة وقتها في الدفاع عنهم؟ ولماذا تراجع الولايات المتحدة حسبتها الاستراتيجية على ضوء مطالبهم؟ ولماذا لا تمضي

الولايات المتحدة وحدها go it alone لتحقيق مراماتها الاستراتيجية غير عابئة بهم؟ . كيف سيكون الأمر اذن لو وصل بوكانان الى البيت الابيض؟.* يقول بات بوكانان في الفصل الأخير من كتابه الخطير (موت الغرب) أن الغرب ـ طبعا على رأسه الولايات المتحدة ـ يواجه أربعة مخاطر: أولها تدني معدلات المواليد وانكماش الوعاء السكاني وثانيها موجات الهجرة العربية والاسلامية إلى الغرب حاملة معها ثقافات وديانات ولغات من شأنها القضاء على شخصية الغرب وحقيقته الثقافية والحضارية. وثالثها نمو تيار سياسي وثقافي مضاد ومعاد للغرب داخل المجتمعات الغربية يتبدى في تكاثر المساجد والجمعيات الاسلامية والعربية والمؤسسات الداعمة لها. ورابعها تفكك الأمم الغربية وتشرذمها وتصاعد الحركات الانفصالية داخل الغرب (ايرلنده والباسك وكورسيكا كأمثلة) وزحف هذا الامر إلى داخل الولايات المتحدة واحتمال تفكك الاتحاد الفدرالي الأمريكي نفسه. * ولا يبدو ـ حسب بوكانان ـ أن الغرب غير قادر على مواجهة هذه المخاطر لكن الذي يزعج بوكانان أن القيادات الغربية فقدت الدافعية وأصيبت بالتعب getting tired وفقدان الثقة بالنفس Loss of confidence. وما يزيد الطين بلة هو هذه العولمة globalism والمؤسسة التابعة لها في التجارة والاقتصاد التي يصفها بوكانان بأنها غير اخلاقية amoral وغير وطنية ولا جذور لها في أي مكان ولا ولاء لها لأي أمة أو أي ثقافة أو دين. ويؤكد بوكانان مرة اخرى أن أخطر المخاطر الأربعة هو الخطر الاول: تدنّي معدلات المواليد وعدم رغبة الرجل والمرأة في الغرب انجاب اطفال او رعايتهم او تربيتهم. وينادي بوكانان بملء الصوت ان يُعيد الغرب. النظر في كثير من اوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والقانونية لكي يعود للعائلة دورها والمرأة التي ترابط في البيت لرعاية زوجها وأطفالها وتقديم الحوافز لها للعودة الى البيت. * يسأل بوكانان (ص 264) سؤالا هاما: هل بالامكان انقاذ الغرب وإحياؤه من جديد؟ يجيب: الحكمة والموضوعية تؤكدان أن هذا الامر غير ممكن. لكن علينا أن نحاول. * في الختام نحن نعتقد بأن هذا الكتاب بيان تاريخي وتشريحي لموقع الغرب من التاريخ الانساني المعاصر. وهو ايضا تعبير فصيح عن المكنون الغربي إزاء الاسلام والامة الاسلامية وامتداداتها الثقافية داخل عواصم الغرب وأبنيته الاجتماعية. ولو تمكن بوكانان من النجاح في الانتخابات الامريكية القادمة ـ وهو أمر مستبعد للغاية ـ لأحدث رجّة كبيرة في علاقات الولايات المتحدة مع العالم وبوش نسخة ملطفة عن بوكانان.